Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

5 ـ صورة النّار الكَامِنَةِ في الزّنْد والتي لا تَظْهَر إلاّ بالإقْتِداح.

6 ـ صورة عُرُوقِ الذّهبِ التي «تُنَالُ بالحفرِ عنها».

ماذا نفعل بهذه التّشبيهات ؟ هل نقول إنّ القصْدَ منها «توضيح» مسألةٍ فكريةٍ معقّدة ؟ هل نقول إنّ الجرجاني أرادَ أن يشْرَحَ، عن طريق صُور حسّية، صِنف الكلام الذي «يُتوَصّلُ إليه بالتّدبّر والتّأمّل»[10] ؟ هل نعتبر تشبيهاته وسيلة، لا غاية، أي أنّها تابعة وخاضعة لشيء آخر ؟ هذا صحيح، ولكن إلى حدٍّ ما فقط، إذ لماذا كلّ هذا الإطناب من الجرجاني ؟ لو كانت التّشبيهات عَرَضِية، لو كان المقصود منها لا يتعدّى التّوضيح، لاكتفى الجرجاني بتشبيهٍ أو تشبيهين، ولكنّه سرد سلسلة مكونة من ستّة تشبيهات ! هذا الإطناب لا نجده فقط في النّص الذي نحن بصدد دراسته وإنّما أيضاً في كل صفحة من **أسرار البلاغة**. لهذا لا ينبغي إغفاله لأنّه لا يقلّ أهمّية عن التّعريفات البلاغية والتّقسيمات التي يشتمل عليها الكتاب.

إلى أيّ مدلول تحيل الصّور السّت ؟ إلى أيّ مدلولٍ يحيلُ الخرق والشّق والغوص والصّعود والاقتداح والحفر ؟ إن زعمت أنّ لهذه الصّور مدلولاً جنسياً فإنّ تأويلي سيبدو للبعض سمجاً قبيحاً. أمّا بالنّسبة لمن يتحلّى بشيء من الفضول الفكري فإنّ المسألة ستختلف. سيعلن عن تعاطفه ولكنّه سيبقى متحفّظاً إلى أن أُبرهن بصفةٍ مُرضية على الافتراض الذي أُقدّمه. سيقول لي : أُوافقك على أنّه لا ينبغي أن نمرَّ مرَّ الكِرَام على الصُّور الشّعرية وغير الشّعرية، ولكن كيف انتقلت، مثلاً، من النّار الكامنة في الزّند، إلى الجنس ؟ وسيضيف : لاشك أنّكَ أخذْتَ هذه الفكرة من الفيلسوف بَاشْلاَر الذي أَلّف كتاباً درس فيه المعاني الجنسية المرتبطة بالنّار[11]؛ ولكن احتماءكَ بهذا الفيلسوف لن ينفعك في شيء لأنّه حلّل نصوصاً بعيدة كل البُعد عن الثّقافة العربية... لهذا المعترض أقول : ما أكثر القصائد والقطع

10) الجرجاني، ص. 274.

11) يلاحظ باشلار أن النار تُقتدح نتيجة احتكاك قطعتين من الحجر أو الخشب، ويلح في تحليله على الاحتكاك وعلى «الشّرارة» التي تنبعث منه (ص. 46 وما بعدها).